

برنامج أنوار كاشفة الموضوع: ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. والذي سنسلط فيه الأضواء على مشكلة عملية قد يواجهها الكثيرون منا.

يهتم الناس بالمظاهر الخارجية، وكثيراً ما يتكون الإنطباع لديهم على أساسها، عندما يقابلون شخصاً لأول مرة. فإن كانت المظاهر جيدة، كالثياب النظيفة، والكلام اللطيف، وكان الإنطباع جيداً. والعكس صحيح أيضاً. وهذا ما نلاحظه بشكل خاص عندما يذهب إنسان ما إلى مقابلة رسمية للعمل. إذ أن المظهر الخارجي له، وسلوكه أثناء المقابلة لابد أن يترك أثراً كبيراً على الشخص الذي يجتمع معه.

إن الإهتمام بمظهرنا الخارجي أمر ضروري وجيد، وهو لابد أن يترك أثره الكبير على الناس من حولنا. لكن علينا أن نلاحظ وننتبه أن المظاهر الخارجية قد تَدْعُ، إذا لم ترافقها صفات حميدة لابد أن يُتَحَلَّى بها. وكم من إنسان استطاع أن يخدع الآخرين بمظهره الخارجي الجذاب، وكلامه المنمق، فإذا عاشره الناس لاكتشفوا إنساناً آخر يختلف بالكلية عما ظنوه. وتكون النتيجة عكسية فبيتعد عنه الناس. أو ليس هذا ما اختبره الكثيرون منا يا أعزائي؟ فكم من إنسان ترك لدينا انطباعاً جيداً، عندما قابلناه في المرات الأولى، ثم نفاجئ أنه لم يكن ذلك الشخص الذي ظنناه، فنصاب بالخيبة والخذلان.

لعلّ السؤال الذي يجب أن نطرحه الآن هو: ما هو أكثر أهمية في حياتنا يا ترى؟ المظهر الخارجي؟ أم التحلّي بالصفات الحميدة من الداخل؟ للإجابة عن هذه التساؤلات لابد أن نعود إلى كلمة الله المقدسة. يخبرنا الإنجيل بحسب بشارة متى، أنه أتى يوماً بعض معلّمي الدين من اليهود إلى المخلص يسوع المسيح، وسألوه قائلين: " لماذا يتعدّى تلاميذك تقليد الشيوخ. فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً؟ " (متى ١٥: ٢)

لقد كانت تقاليد الشيوخ تقضي بضرورة أن يغسل الإنسان يديه قبل أن يأكل خبزاً. لكن يبدو أن تلاميذ المسيح لم يكونوا يعيرون اهتماماً لهذا التقليد، إذ كانوا يأكلون الخبز دون أن يغسلوا أيديهم. فأجابهم المخلص المسيح قائلاً: " وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم. فإن الله أوصى قائلاً أكرم أباك وأمك. ومن يشتم أباً أو أما فليمت موتاً. وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يكرم أباه وأمه. فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم. يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم أشعياء قائلاً: يقترب إليّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس." (متى ١٥: ٣-٩)

لقد لفت المخلص المسيح انتباه هؤلاء المعلمين اليهود، أنهم وبسبب تمسكهم بالتقاليد أهملوا وصية الله المتعلقة بإكرام الوالدين. فسوّوا تقليداً يسمح بعدم إكرام الوالدين إذا قدّم الشخص بعض المال كتقدمة إلى الهيكل. أي صارت هذه التقدمة، بديلاً عن إكرام الوالدين وإعالتهم. وهكذا خالف هؤلاء المعلمين وصية الله، والتي هي أهم بكثير من التقاليد. وبكلام آخر إن كسرهم لوصية الله هو المهم، وليس مخالفة التلاميذ للتقاليد.

ثم أعطى المخلص المسيح النتيجة وهي: أن هؤلاء المعلمين اليهود قد أبطلوا وصية الله بسبب التقاليد التي سنّوها. وهكذا تمت فيهم نبوءة النبي أشعيا قديماً أن هذا الشعب سيقترب من الله بفمه وأما قلبه فسيكون بعيداً جداً. وهذه هي العبادة الباطلة، لأن هؤلاء المعلمين كسروا وصية الله، وعلموا تعاليم بشرية مكانها. وبتعبير آخر إن هؤلاء المعلمين أحلوا العبادة الخارجية لله، مكان العبادة القلبية الصحيحة. أي اهتموا بالمظاهر الخارجية، والكلام الحلو المعسول، ظانين أنهم يخدمون به الله، وأهملوا عبادة الله الصحيحة من كل القلب. العبادة التي تقضي بإطاعة الله والعمل بحسب وصاياه.

لكن المخلص المسيح لم يتوقف في إجابته لهؤلاء المعلمين اليهود عند هذا الحد، بل دعا الجموع وقال لهم: **اسمعوا وافهموا. ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان. بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان.** (متى ١٥: ١١) وهنا سأله التلميذ بطرس قائلاً: فسّر لنا هذا المثل. فأجابه المسيح: "هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين. ألا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج. وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر. وذلك ينجس الإنسان. لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف. هذه هي التي تنجس الإنسان. وأما الأكل بأيدي غير مغسولة فلا ينجس الإنسان." (متى ١٥: ١٦-٢٠)

لقد كشف المخلص المسيح بهذا المثل أن ما يتحلّى به الإنسان من صفات في الداخل أي في القلب، هو أهم بكثير من المظاهر الخارجية، كالأكل مثلاً بأيدي غير مغسولة. والسبب لأننا عندما نأكل بشكل عام، فإن الطعام يذهب إلى المعدة ومن ثم إلى المخرج. ومن المعروف أن الجسم يفرز فضلات الطعام، أي الطعام الذي لا فائدة منه. بينما يكون سلوك الإنسان وتصرفاته، هو تعبير عمّا في داخله أي في قلبه. لأن السلوك يعبر عما يتحلّى به الإنسان من صفات ومزايا في الداخل. وكما يقول المثل العربي: وكل إناء ينضح بما فيه.

لكن الأمر الملفت للانتباه، هو قول المخلص المسيح أن مصدر الفساد هو القلب من الداخل. فمن القلب تخرج الأفكار الشريرة، من قتل وزنى وفسق وسرقة وشهادة زور وتجديف. وهذه هي التي تنجس الإنسان. وإذا كان القلب هو مصدر الفساد، فإن هذا يؤكد الحقيقة التي دونتها لنا كلمة الله قديماً على لسان النبي ارميا أن: **"القلب أٌدع من كل شيء وهو نجس من يعرفه. أنا الرب فاحص القلب مُختبر الكلى."** (ارميا ١٧: ٩ و١٠)

إذن إن فساد الإنسان هو من الداخل من القلب، وهذا لا بد أن ينعكس على سلوكه وتصرفاته. وإذا كان القلب البشري فاسداً، فإن هذا يؤكد أن جميع البشر دون استثناء هم خطاة، وبحاجة إلى تطهير قلوبهم من الفساد. وهو ما أعلنته أيضاً كلمة الله إذ قالت: "ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد." (رومية ٣: ١٠-١٢) إذن علينا كبشر أن نهتم بالبحث عن تنقية وتطهير قلوبنا من الداخل، وأكثر كثيراً من اهتمامنا بالخارج وكيف تبدو أمام الناس الآخرين. لأن الداخل كما تبين لنا هو أكثر أهمية من الخارج أو المظاهر الخارجية.

لعلّ السؤال الآن: هل بالإمكان تطهير قلوبنا من الداخل؟ وكيف؟ للإجابة نقول: نعم إن الله الخالق هو وحده القادر على تطهير قلوبنا من الداخل، وأن يحل فينا طبيعة روحية جديدة، تسعى نحو الصلاح والبر. ولهذا صليّ النبي داود قائلاً: "قلباً نقياً أخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي." (مزمو ٥١: ١٠) أما الرسول بولس فقد كتب قائلاً: "لإنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت." (رومية ١٠: ٩) إذن إن عملية تطهير قلوبنا تبدأ بالتوبة عن ذنوبنا، ثم الإيمان بالمخلص المسيح وبموته الكفاري من أجل خطايانا، وبقيامته الظاهرة من بين الأموات. وعندها يطهر الله قلوبنا من الداخل، ويمنحنا طبيعة جديدة.

ولهذا كتب أيضاً الرسول بولس قائلاً: "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً." (١ كو ٥: ١٧) أي أن الذي يؤمن بالمخلص المسيح يصبح خليفة جديدة. فهل تود مستمعي الكريم أن ينظرو قلبك من كل فساد وإثم؟ أولاً ترغب أن تسلك في طريق الصلاح والبر؟ وهكذا يكون مظهرك الخارجي معبراً عن التغيير الحقيقي في القلب.